

لهم قورش ملك الفرس بالعودة وإعادة بناء أورشليم، وعندما شجعهم في أعمالهم المالية كي ينشط التجارة في دولته . ويتنازع نفوس اليهود من قديم الزمن عاملان : النزعة العالمية، والنزعة الشعبية المصطبغة بصبغة دينية . وقد كانت متاعب اليهود قديماً وحديثاً ناشئة من استفحال النزعتين وتنازعهما نفوسهما؛ فتارة يوقمهم الغلو في المحافظة على تقاليد النزعة الشعبية الدينية في نزاع مع الدول الأخرى، وتارة يوقمهم الغلو في النزعة العالمية في ذلك النزاع . وقد كانت النزعة العالمية تظهر في نفوسهم في بعض الأحيان بمظهر اقتصادي مالى فيحاولون السيطرة على أسواق العالم المالية ، وتارة تظهر النزعة العالمية بمظهر الدعوة إلى مُثل عليا . وكان بعضهم يريد قصر تحقيق هذه المثل العليا على اليهود، وهؤلاء هم الذين كانوا يناصرون النزعة الشعبية الدينية، وبعضهم لا يريد قصرها على اليهود بل تعميمها في العالم . والغريب في أمرهم أنه بالرغم من المشاحنات والقتال الذي كان يحدث قديماً بين اليهود من أنصار المحافظة على تقاليد النزعة الشعبية الدينية وبين أنصار النزعة العالمية ، وبالرغم من أن النزعة العالمية في نفوس بعضهم كانت تتخذ مظهر الأثرة المالية والطباع الدنيوية الراضية في الربح المالى قبل كل شيء ، وهى طباع تخالف نزعة المثل العليا وتخالف التضحية في سبيل تحقيقها، فإن كثيراً منهم كان يحاول التوفيق في نفسه بين النزعتين المتناقضتين أو يحن تارة إلى هذه وتارة إلى تلك، كما أن بعضهم كان يحاول الاستفادة لنفسه أو للشعب اليهودى من النزعتين المتناقضتين معاً . فاليهودى الذى يميل إلى المثل العليا أو الذى يميل إلى المحافظة على تقاليد النزعة الشعبية الدينية لا يرى حرجاً في أن يلتجئ إلى صاحب النزعة العالمية المالية والطباع الدنيوية لاستخدام ماله وسلطته في سبيل تحقيق مثله العليا أو في سبيل المحافظة على التقاليد الشعبية الدينية الضيقة التى ترفض النزعة العالمية، كما أن صاحب الطباع الدنيوية والأثرة المالية لا يرى تناقضاً في خطته إذا حن إلى المثل العليا التى قد تخالف نزعة أثرته الدنيوية، أو إذا ساعد في المحافظة على تقاليد النزعة الشعبية الدينية الضيقة التى تخالف نزعته العالمية الدنيوية ، وربما حن إلى المثل العليا ذلك الحين الذى يدعو إلى التضحية في سبيلها في الوقت الذى يستمر الدعوة إلى تلك المثل العليا لكسب المال وزيادة نفوذه الاقتصادى . واجتماع هذه النزعات المختلفة في النفس الواحدة ليس مقصوداً على اليهودى فعلى طباع النفوس البشرية عامة، ولكن التناقض

مشكلة اليهود في العالم

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

—

إن الذى يدرس تاريخ اليهود من قديم الزمن يعرف أن العوامل التى تتنازع سياستهم ليست حديثة العهد، وأن مواقف الأمم الأخرى منهم في هذا العصر كانت لها أشباه ونظائر في عصور التاريخ المختلفة في عهد قدماء المصريين والبابليين والأشوريين والفرس والإغريق والرومان . فسألة اليهود كانت موجودة حتى قبل أن يفقدوا استقلال شعبيهم وقبل أن يخرب طيطوس ابن الأباطور الرومانى فسباسبان مبدمهم وقبل أن يقضى على أورشليم، وقبل أن ينشئت اليهود في العالم^(١) . بل هى كانت موجودة قبل ذلك عند أسرم، ونقل الكثير منهم إلى بابل وهو المعروف في التاريخ باسم أسر بابل^(٢) وكانت موجودة عندما سمح

(١) كان اليهود منتشرين في العالم النحضر من قديم الزمن قبل سقوط أورشليم، وأحياناً كان بعضهم يتخذ جنسية أخرى ويرقى أعظم المناصب في الأمم الأخرى القديمة وحاولوا نديماً السيطرة على الأسواق المالية كما يفعلون الآن (٢) في عهد مختصر السكندران

كما أصرح بأن الاختبارات الأخيرة كانت أعطتني نتائج مجاملة لنتائج الاختبارات التى تجرت في أوربا وأميركا تمام المائة (مجلة التربية والتعليم - الجزء ١٩ - ص ٣٠٣ - حزيران ١٩٢٩) فلم أذكر اختبارات الدكتور كلاباريد هنا، لأرد بها على رأى الدكتور طه حسين . وإنما ذكرتها لأظهر للميان (بمثال آخر وبوضوح أكبر) ما في خطة البحث التى سار عليها الدكتور من الغرابة والنقص ...

أعتقد أن الانتقادات التى مردتها آنفاً عن المسألة الأولى في المسائل التى حاول الدكتور طه حسين درسها ومعالجتها في كتابه « مستقبل الثقافة في مصر » تكفى لإعطاء فكرة عامة عن حظ الكتاب المذكور من القيمة العلمية ...

واستناداً إلى كل ذلك، أكرر ماقلته في مقدمة هذا المقال : إن كتاب مستقبل الثقافة في مصر، يتألف في حقيقة الأمر من مجموعة أحاديث ومقالات، قليلة التماسق وكثيرة التداخل . يبدو على جميع أقسامها آثار الارتجال والاستمجال، ويتخلل معظم أقسامها أنواع شتى من الاستطرادات والاستدراكات ...

أبريد

(برمانا)

الشموب تشمر به نحوهم ، وكان يستطيع اليهود أن ينعموا بجزء القدرة على كسب المال ، ولكن ربما كانت تلك القدرة تقل لو تم ذلك الاندماج لأنه كان ينسبهم اختلاف جنسهم عن الأجناس الأخرى ؛ فكان يقضى على مناصرة بعضهم لبعض ، وعلى تعاونهم للسيطرة على الأسواق المالية ، وعلى المهن الفكرية والمالية .

وبقاء النزعة الشعبية الدينية في نفوسهم أدى إلى فكرة الصهيونية^(١) التي تدعو إلى العودة إلى حكم فلسطين . وهذه الفكرة كانت في أول أمرها مثلاً أعلى كالمثل العليا تحمل بها الإنسانية ولا تحقق . وهذه الفكرة الصهيونية زادت اعتقاد آحاد الشعوب الأوربية أن اليهود بينهم — وإن تجنسوا بجنس غير جنسهم ، وإن ضحوا في الحروب وفي غير الحروب لمناصرة الجنس الجديد الذي تجنسوا به — إنعام أجنبي بالرغم من ذلك ، وأنهم يعدون أنفسهم أجنب .

وهذه الفكرة الصهيونية مخالفة لمصالح اليهود الاقتصادية ؛ فإن قطراً كفلسطين ربما كان يصلح لاستيطانهم قديماً عند ما كانوا قليلين وعلى حالة قريبة من البداوة ، وعند ما كانوا هم الكثرة الغالبة فيه . أما الآن فقد زاد عددهم في العالم وتعددت فوائدهم ومنافعهم المالية ، وصار في هذا القطر كثرة غير كثيرتهم من العرب الذين وراء كثيرتهم في فلسطين كثرة عربية أخرى في الأقطار المجاورة . ولو خلت فلسطين لليهود لما استطاعت أن تؤوى غير عدد قليل من الملايين العديدة من اليهود . وفي العالم بقاع شاسعة أكثر خصباً تحكها إنجلترا وغيرها من الأمم المناصرة لليهود . فلا يمكن أن يقال إذاً إن الضرورة والأسباب الدنيوية هي التي تقضى بإسكان المهاجرين اليهود في فلسطين ... لا ، بل تثبت اليهود بفلسطين هو تثبت بتلك النزعة الشعبية الدينية التي تفضل التقاليد القديمة والتي تحاول أن تعكس دورة الزمن وأن تعيد العالم كما كان في بدايته وأن تتجاهل حقائق الحياة . وهذا من قبيل التثبث ، في أمور الحياة لا في عواطف النفس وحدها ، يمثل أعلى لا يمكن تحقيقه . وهذا التثبث كما قلنا

(١) من قديم الزمن كانت تنازع فكرة الصهيونية والتثبث بالمبد الأورشليمي فكرة اعتبار اللبدي في نفس كل يهودي ، وظهرت هذه الفكرة لسلاوى واستئناف الحياة الدينية أولاً عند بعض من فر إلى مصر بعد غزوة بختنصر الكلداني ، وثانياً بعد تخريب طيطوس الروماني للصب وسقوط أورشليم .

أظهر ما يكون في اليهود لتلوم في النزعتين المتناقضتين علواً يظهر الفرق بينهما في نفوسهم أكبر منه في نفوس غيرهم . وقد ظهر اليهود قديماً وحديثاً ظهوراً كبيراً في مناصرة النزعتين المتناقضتين ، وهذا أدى كما ذكرت إلى مشاحنات بين طوائفهم وإلى مشاحنات بينهم وبين الأمم . وقد ظهرت النزعة العالمية في حياة اليهود على اختلاف مظهرى تلك النزعة أى المظهر المالى الاقتصادى ومظهر المثل العليا قبل أن يفقد اليهود كل سلطة سياسية في حكم فلسطين . فظهرت في دولة الفرس^(١) وظهرت في دولة الرومان^(٢)

على أن فقدانهم كل سلطة سياسية في حكومة فلسطين لم يوهن النزعة الشعبية الدينية في نفوسهم وإن كان قد ساعد على استفحال النزعة العالمية . وتحريم الكنيسة المسيحية على المسيحيين تقاضى الربح عند تسليف النقود واعتباره ربا أدى إلى ما يشبه احتكاراً من اليهود للمعاملات المالية وإلى سيطرتهم على الأسواق المالية في أوروبا ، وهذا قوى النزعة العالمية في نفوسهم كما أدت النزعة الشعبية الدينية إلى مناصرة بعضهم بعضاً ؛ وزادت هذه المناصرة إذ وجدوا أنفسهم قلة يهودية في وسط كثرة غير يهودية من الشعوب التي هاجروا إليها . وشأن القلة من الطوائف المتعاون حتى لا تفرها الكثرة ولا سباً إذا كانت الكثرة كثيرة تفيض القلة . وزاد البغض الديني في نفوس الكثرة أولاً استيلاء اليهود على الأسواق المالية بالتسليف ؛ وثانياً عراقب مناصرة اليهود بعضهم لبعض من استيلائهم على كثير من المهن التي تحتاج إلى الأعمال الفكرية والاستعداد العلمي والفنى . وبالرغم من أن بعض اليهود حاول معالجة هذا البغض والقضاء على الكره الذي كان غير اليهود يشعرون به نحوهم بالاندماج في الأجناس الأوربية اندماجاً تاماً ، فإن الكثرة من اليهود بقيت محافظة على تقاليد النزعة الشعبية الدينية . ولو أن النزعة العالمية غلبت على نفوسهم ككل الغلبة لتكنوا من الاندماج في الشعوب التي استوطنوا أرضها . وهذا الاندماج كان ينسى تلك الشعوب أن اليهود في أصلهم أجنب ، وهذا كان يزيل البغض الذي كانت آحاد تلك

(١) بعد هودتهم من بابل استخدموا الثقافة التي استفادوها هناك

لدواع دينية وزادتهم محبة الأمر رغبة في المثل العليا

(٢) كالمثل العليا العالمية في المسيحية وقد انتشرت أولاً بين اليهود ثم انتقلت منهم إلى غيرهم . وقد ساعد هذا العامل المتناسق لقبول الدعوة لرغبة في إعادة استغلالهم .